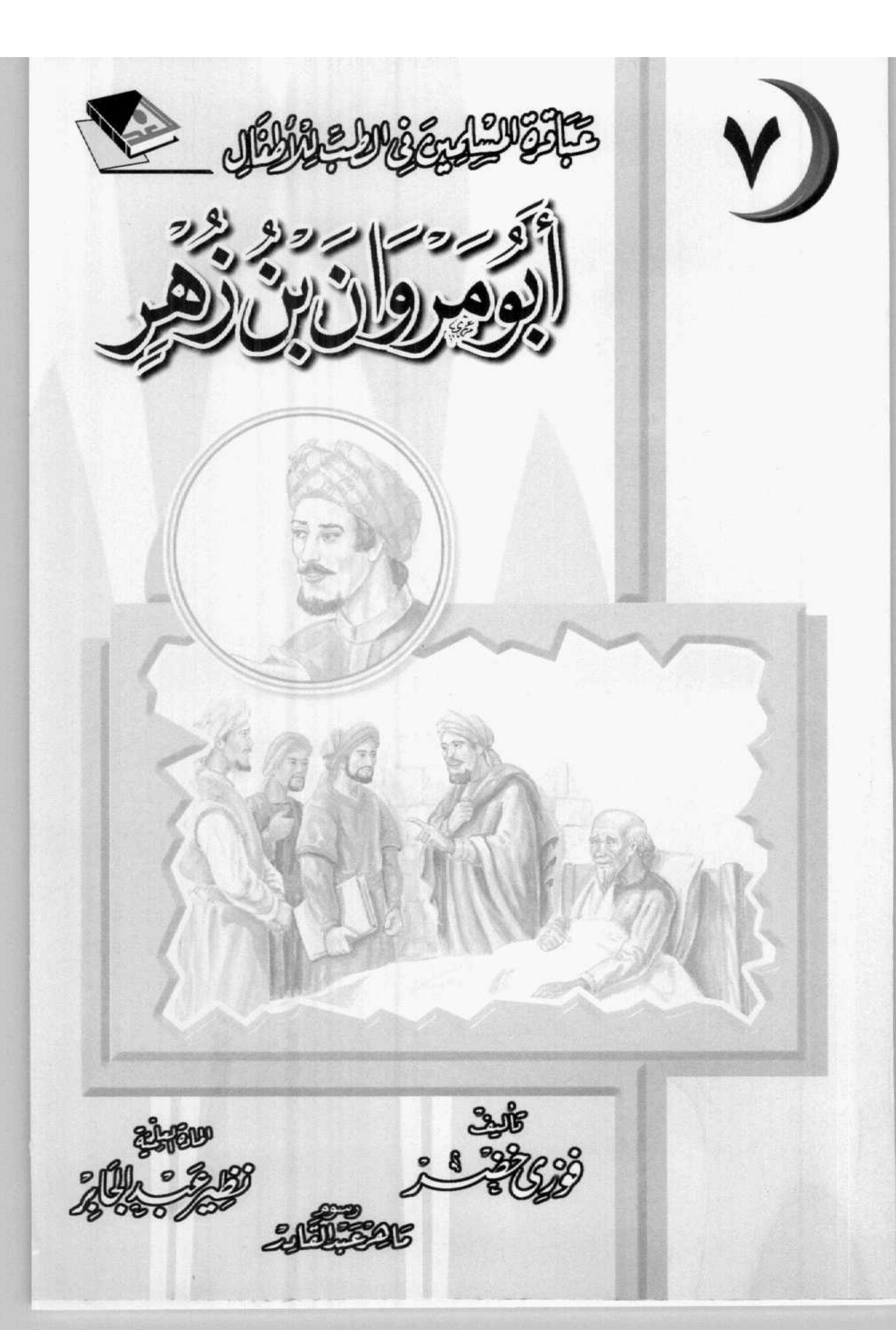

٧
عباقرة المسلمين في الطب للأطفال
أبو مروان بن زهر
تأليف
فوزي خضر
المادة العلمية
نظير عبد الجابر
رسوم
ماهر عبد القادر

الناشر : مكتبة ومطبعة الغد
العنوان : ٢٣ ش سكة المدينة - ناهيا - إمبابة - جيزة
تليفون : ٣٢٥٠٢٠٢
رقم الإيداع : ٩٩/٨٣١٧
الترقيم الدولى : 6 - 32 - 5819 - 977
رسوم وإخراج فنى: ماهر عبد القادر
خطوط : مصطفى عمرى
مراجعة لغوية : حمزة عبد المنعم الزمر

الطبعة الأولى : صفر ١٤٢٠ هـ ـ يونيو ١٩٩٩ م

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِلادُ الأَندلسِ (التى هى أسبانيا الآن) بلادٌ جميلةٌ ، تكْثُرُ فيها الحدائقُ والْمُتَنَزَّهاتُ والأنهارُ الجارِيةُ ، وتُغَطِّى جبالَها أشجارُ الزَّيتون . وتُوجَدُ فى غرب بلادِ الأندلسِ مدينةٌ بديعةُ الجمالِ اسْمُها (إشْبِيلِيَّةَ) كان لها دورٌ مُؤَثِّرٌ فى التاريخ الأندلسِىِّ من خلالِ دورِها السياسِىِّ والعلْمِىِّ والأدَبِىِّ . فَقَدْ حكَمَها حُكَّامٌ أذْكِياءُ ، وأَنْجَبَتْ عُلماءَ عباقِرَةَ ، وأُدباءَ وشُعَراءَ مُجيدِينَ .

وعاشَتْ فى (إشْبِيلِيَّةَ) أُسْرةٌ فَريدةٌ من نوعِها هِىَ أُسْرَةُ بَنى زُهْر ، أَنْجَبَتْ عَدداً كبيراً من الأطبَّاءِ المشْهورينَ خِلالَ سِتَّةِ أَجْيالٍ مُتَتَابِعَة ، أىْ خلالَ فَتْرَةٍ تَمْتَدُّ إلى حوالى ثَلاثمائة عامٍ . ومن أشْهرِ أطبَّاءِ هذه الأسْرَةِ الطَّبيبُ أَبُو مَرْوَانَ عَبْدُ المَلِكِ بْنُ الطَّبيبِ أَبِى العلاءِ بْنُ زُهَرٍ .

وُلِدَ أبو مروانَ فى (إشبيلِيةَ) سنة (٤٨٦) هجرية - (١٠٩٣) ميلادية ، وهو طبيبُ الجيلِ الثَّالثِ من أسرةِ بنى زُهْرٍ، بعد والِدِه أبى العلاءِ وجدِّه عبد الملِكِ .



درس أبو مروانَ بْنُ زُهْرٍ فى صِبَاهُ العلومَ الأساسيَّةَ التى كان يَدْرُسُها صِغارُ السِنِّ فى ذلك الزمانِ ، ويَأْتى فى مُقَدِّمَتِها حفْظُ القرآنِ الكريمِ ، والإلمامُ بِمداخلِ لِعِلْمِ الحديثِ والفقه واللُّغة والأدبِ والحسابِ . وكانوا بعد ذلك يَتَعَمَّقُون فى دِراسةِ العُلُومِ، لكنّ أبا مروانَ قَرَّرَ أنْ يكُونَ مُخْتَلِفاً عن زملائه ، وفَاجَأَ أباهُ ذاتَ يومٍ بقوله : أَنَا لَنْ أَدْرُسَ إلا عِلْماً واحِداً هو عِلْمُ الطِّبِّ .

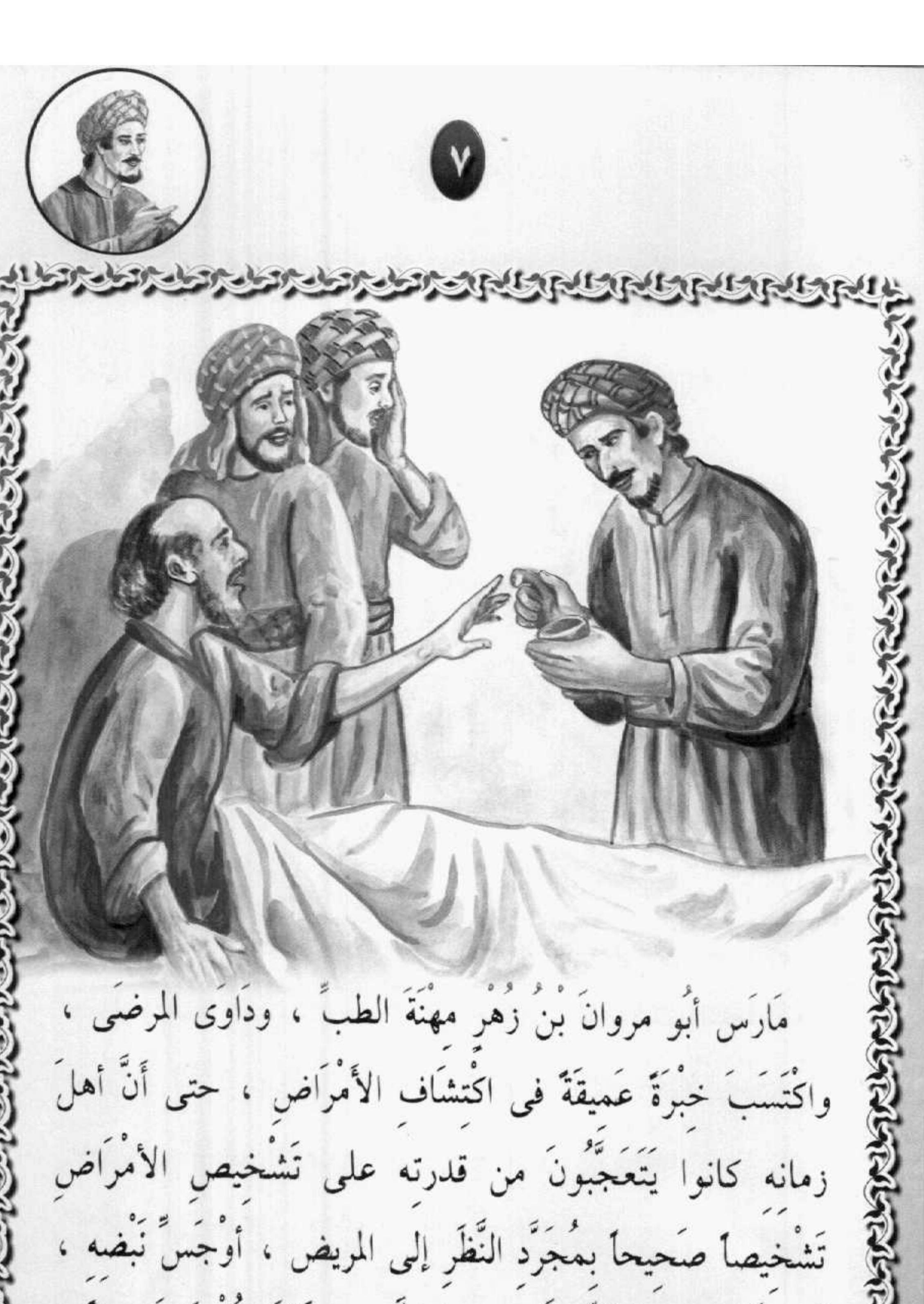
تَعَجَّبَ والِدُهُ من قولِ أبِى مروانَ ، وحَاوَلَ أَنْ يُقْنِعَهُ بِأهميَّةِ التَّعمُّقِ فى دراسةِ بقيَّةِ العلومِ ، لِكَنَّ أبا مروانَ قال له :

يا أَبَتِ . . . إنَّ الطبَّ علمٌ جليلٌ شريفٌ ، وهو واسعُ الأبعادِ ، يَحتاجُ إلى مجهودٍ كبيرٍ حتى يُدْرِكَ الإنسانُ خَبَايَاهُ ، وأَنَا أَبْغِى أَنْ أَكُونَ مُتَخصِّصاً فى الطبِّ وَحْدَهُ دونَ سِوَاهَ ، أُرِيدُ أَنْ أَتَفَرَّغَ لِدراسته ، فلا أُشَتِّتُ ذهْنِى فى علومٍ غَيْرَ الطبِّ، وأنا أَشْعُرُ أَنِّى سَوْفَ أُحقِّقُ إِنْجَازَاتٍ ضَخْمَةً إِذَا أَخْلَصْتُ لهذا العلمِ إخلاصاً تاماً .



رأى والدُهُ أنَّ كلامَهُ لا بأسَ به ، فقرَّرَ أنْ يُعطيَهُ فُرصةً ليُجرِّبَ التَّفرُّغَ التَّامَّ لدراسةِ الطبِّ ، خاصَّةً وأنَّ والدَهُ حينَ أمعَنَ التَّفْكيرَ وجَدَ أنَّه لو كان تَفرَّغَ للطبِّ بصورةٍ أكْبَرَ ، لكانَ قد حقَّقَ فيه إنْجازاتٍ أكْبَرَ ، لذلك تَابَعَ خُطُواتِ ولَدِهِ أبى مروانَ وهو يُحصِّلُ قَدْراً كبيراً من المعارفِ الطبيَّةِ فى وقتٍ قصيرٍ ، وهكذا صارَ أبوُ مروانَ هُوَ الطبيبُ الوحيدُ الَّذى تَفرَّغَ للطبِّ وَحْدَهُ ، مُخالفاً بذلك كُلَّ الأطباءِ الَّذين سبَقُوه والَّذين عاصَرُوه وعاشوا معه فى نَفْسِ زَمَانِه وعصرِهِ .





مَارَس أبُو مروانَ بْنُ زُهْرٍ مِهْنَةَ الطبِّ ، ودَاوَى المرضَى ، واكْتَسَبَ خِبْرَةً عَمِيقَةً فى اكْتِشَافِ الأَمْرَاضِ ، حتى أَنَّ أهلَ زمانِه كانوا يَتَعَجَّبُونَ من قدرتِه على تَشْخِيصِ الأمْرَاضِ تَشْخيصاً صَحِيحاً بِمُجَرَّدِ النَّظَرِ إلى المريض ، أوْجَسِّ نَبْضِه ، أَوِ النَّظَرِ إلى مَوَادِّ التَّحاليلِ الطبيَّةِ . ونَالَ شُهْرةً عَرِيضةً ،

امْتَدَّتْ فى طولِ البلادِ وعرضِها ، وتَخَطَّتْ شُهرتُه بلادَ الأندلسِ إلى المغربِ العربىِّ وإلى أوروبا ، فَصارَ التلاميذُ يَسْعَوْنَ إليه من البلادِ العربيَّةِ ومن البلادِ الأوروبية كَىْ يَتَعَلَّمُوا مِهْنَةَ الطبِّ على يَدَيْه .

وكَانَ أمراً طبيعياً أنْ يُقَرِّبَه حَاكمُ البلادِ لِيَسْتَفيدَ من علْمه الزَّاخرِ ، وكان الحاكمُ آنذاك هو عَبْدُ المؤْمنِ بْنُ عَلِىٍّ زَعِيمُ دَوْلَةِ الْمُوَحِّدينَ، الذى كان يَحْكُمُ الأَنْدُلسَ والمغربَ وشَمَالَ إفريقْيا.

وتَنَاقَلُ النَّاسُ نوَادرَ لَطِيفَةً فى مُدَاواة أبى مروانَ بْنِ زُهْرٍ لمرْضَاهُ ، فقدْ كان يَمْتازُ بأنَّه يَسْتَخْدِمُ عَقْلَهُ فى التوصُّلِ إلى حُلُولٍ مناسبة لكل ما يُصَادِفُهُ فى حياته ، فقد كان مُقْتَنعاً بأنَّه لا يُوجَدُ إنسانٌ ذَكِىٌّ وإنسانٌ غَبِىٌّ ، ولكِنْ يُوجَدُ إنسانٌ يَسْتَخدمُ عَقْلَهُ فى التفكيرِ ، وإنسانٌ يَتَلَذَّذُ بالْكَسَلِ فلا يُجْهِدُ نَفْسَهُ فى التفكير فى شَىْءٍ ، وكان مؤمناً بأنَّ الإنسانَ لا يُمكنُهُ النَّجاحَ إلا إذَا استَخْدمَ عقْلَه ، وبَحَثَ بِفِكْرِه فيما يُواجِهُهُ من أُمورِ الحياة .



وَمِنَ النَّوادِرِ اللَّطِيفة التى تَنَاقَلَهَا الناسُ بِشَأْنِ مُعَالجات أبى مروانَ بنِ زُهْرٍ ، تلك النادرةُ التى دلَّت على حُسْنِ تَصرُّفِهِ حِينَ مَرِضَ عَبْدُ المؤمن بن عليٍّ .

أَصَابَ عبدَ المؤْمنِ إمْسَاكٌ شَدِيدٌ ، وكان لا بُدَّ أنْ يَتَنَاوَلَ دَوَاءً يُسَاعِدُ على الإسْهال ، حتى يَتِمَّ إنْهَاءُ حَالَةِ الإمْسَاك التى أصَابَتْهُ ، لكنَّ المُشْكلَةَ أنَّ عَبْدَ المُؤْمنِ بْنَ عليٍّ يكْرَهُ الأَدْوِيَةَ التى تُسَاعِدُ على الإسْهالِ ، ولا يُطيقُ تَنَاوُلَهَا .

كان أبُو مَرْوانَ يَعْلَمُ ذلك عن عَبْدِ المؤمنِ ، لكنَّ الإنسانَ مُعَرَّضٌ للإصابةِ بالإمساكِ أحياناً ، فماذا يَفْعَلُ أبو مروانَ إذا أصابَ الإمساكُ عَبْدَ المؤمنِ ؟

فَكَّرَ أبو مروانَ فى ذلك قبل أنْ يُصَابَ الْحَاكِمُ بالإمساك ، وحِينَ فكَّرَ بِاهتِمامٍ وَجِديَّةٍ تَوصَّلَ إلى حَلٍّ للمشكلَةِ .

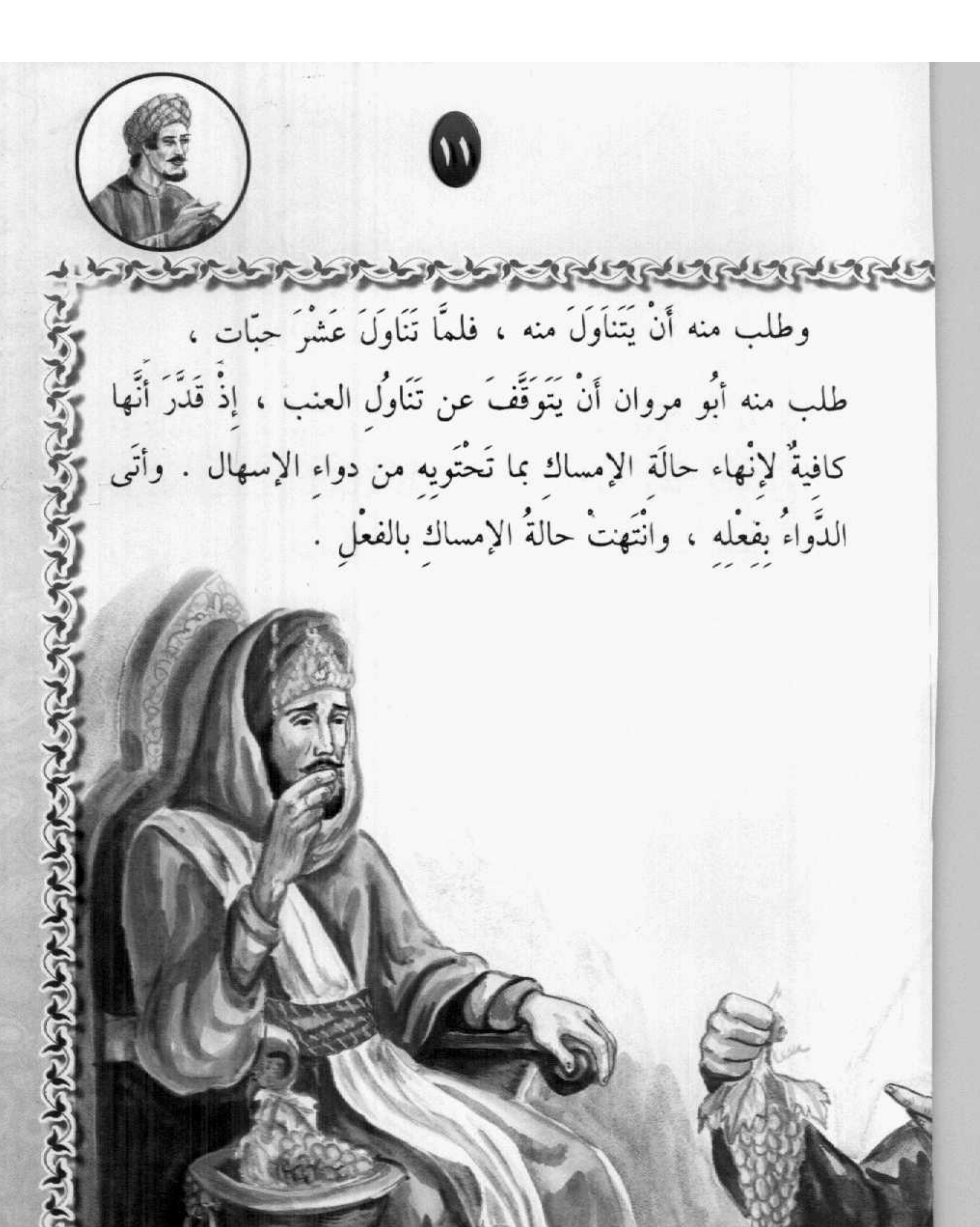
كان فى حديقة البيت الذى يُقِيمُ فيه أبو مروانَ بْنُ زُهْرٍ أَشْجارٌ كثِيرةٌ ، منها شَجَرَةُ عِنَبٍ ، فكَّرَ فى خَلْطِ دَوَاءِ الإسهالِ



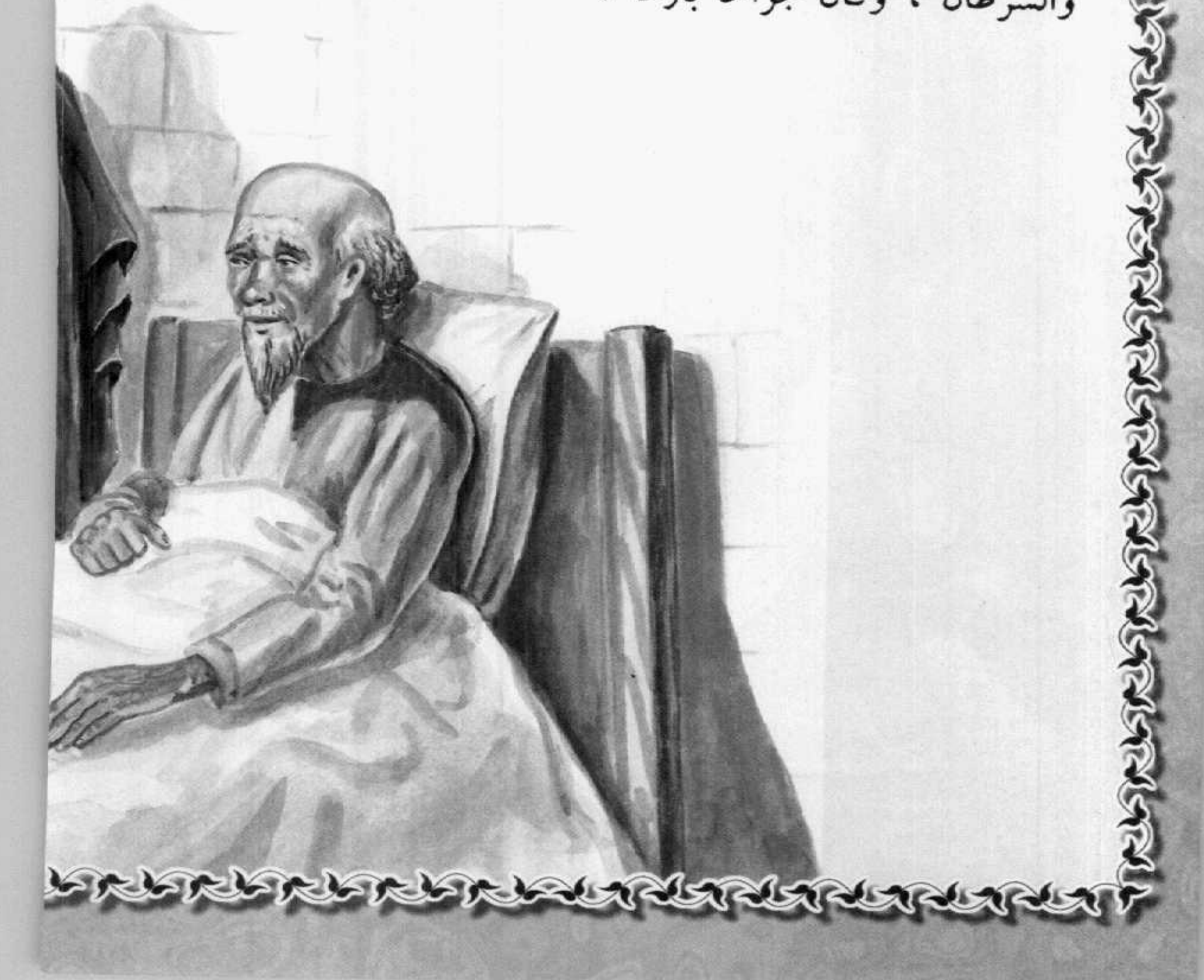
بالمْاء الذى يُسقى به شجرةَ الْعِنَبِ هَذى ، حينَذَاكَ سَوْفَ تَمْتَصُّ جُذُورُ الشَّجرةِ دوَاءَ الإسهالِ ، وَتُوجَدُ نِسْبَةٌ مِنْهُ فى عَنَاقيدِ الْعِنَبِ التَّى تَطْرَحُها . وَفَعَلَ أبو مروانَ ذلك ، وصارت فى حَبَّاتِ العنبِ التى تَطْرَحُهَا تلك الشَّجرَةُ نِسْبَةٌ من دوَاءِ الإسهالِ ، وقد تَخَيَّرَ شَجَرَةَ العنبِ بالذات دُونَ غَيْرِها ، لأنَّه كان يَعْلَمُ أنَّ الْحَاكِمَ يُحِبُّ الْعِنَبَ مِنْ ضِمْنِ الْفَواكِهِ الَّتى يُحِبُّهَا .

اسْتَدَعى عَبْدُ المؤمِنِ بْنُ عليٍّ الطبيبَ أبا مروانَ حينَ أصابَهُ الإمساكُ ، فأَسْرَعَ الطبيبُ إلى بَيْتِه ، فأحْضَرَ عُنْقوداً مِنَ الْعِنَبِ ، وأعطاهُ إلى عَبْدِ المؤمنِ بْنِ عليٍّ بَعْدَ غَسْلِهِ بالماءِ الجارِى ،

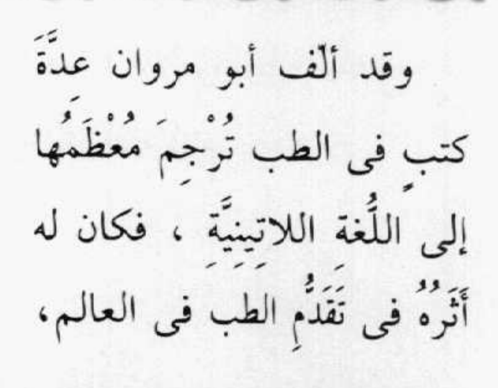
وطلب منه أَنْ يَتَنَاوَلَ منه ، فلمَّا تَنَاوَلَ عَشْرَ حبّات ، طلب منه أبُو مروان أَنْ يَتَوَقَّفَ عن تَنَاوُلِ العنب ، إذْ قَدَّرَ أَنَّها كافيةٌ لإِنْهاء حالَةَ الإمساكِ بما تَحْتَويه من دواءِ الإسهال . وأتَى الدَّواءُ بِفِعْلِه ، وانْتَهت حالَةُ الإمساكِ بالفعْلِ .



بَحَثَ أبو مروانَ بْنُ زُهَر فى علمِ الطب ، فَتوصَّلَ إلى اكْتشَافات طبيَّة مُهمَّة وقيِّمة ، فوَصَفَ أمراضاً ووصف علاجها بطريقة غَيْرَ مسبوقة مثْلَ الْتهَاب غشَاء القلبِ ، وشَلَلِ البَلْعُومِ، والْتهَاب الأُذُنِ الوُسْطَى ، والأمراضِ التى تُصيبُ العيونَ ، والسَّرطانَ ، وكان جرّاحاً بارعاً ،



وَاهْتَمَّ بالأدوية التى تَحْمِى من الإصابة بالأمراض ، ونَصَحَ بمتابعة تَأْثِيرِ الدَّواءِ على المريض لِمُدَّةِ ثلاثةِ أيامٍ .

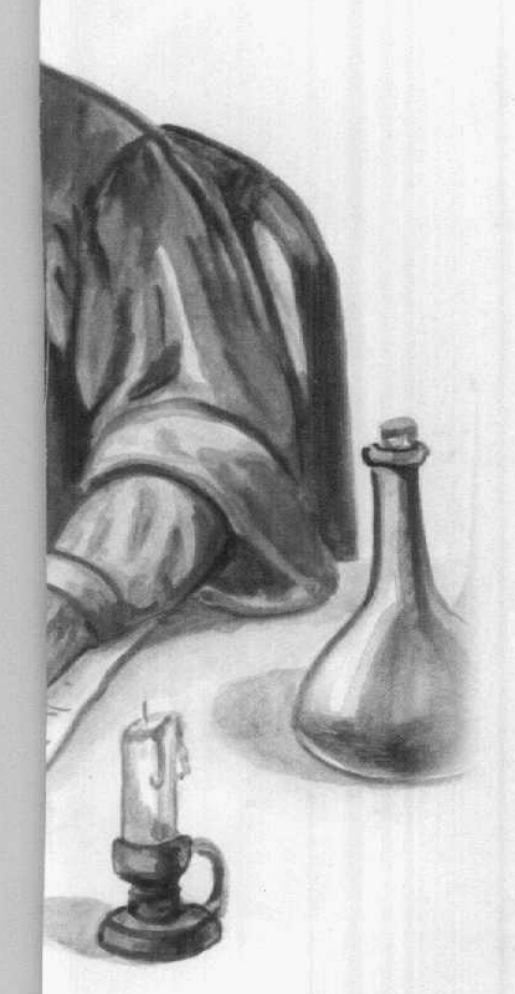


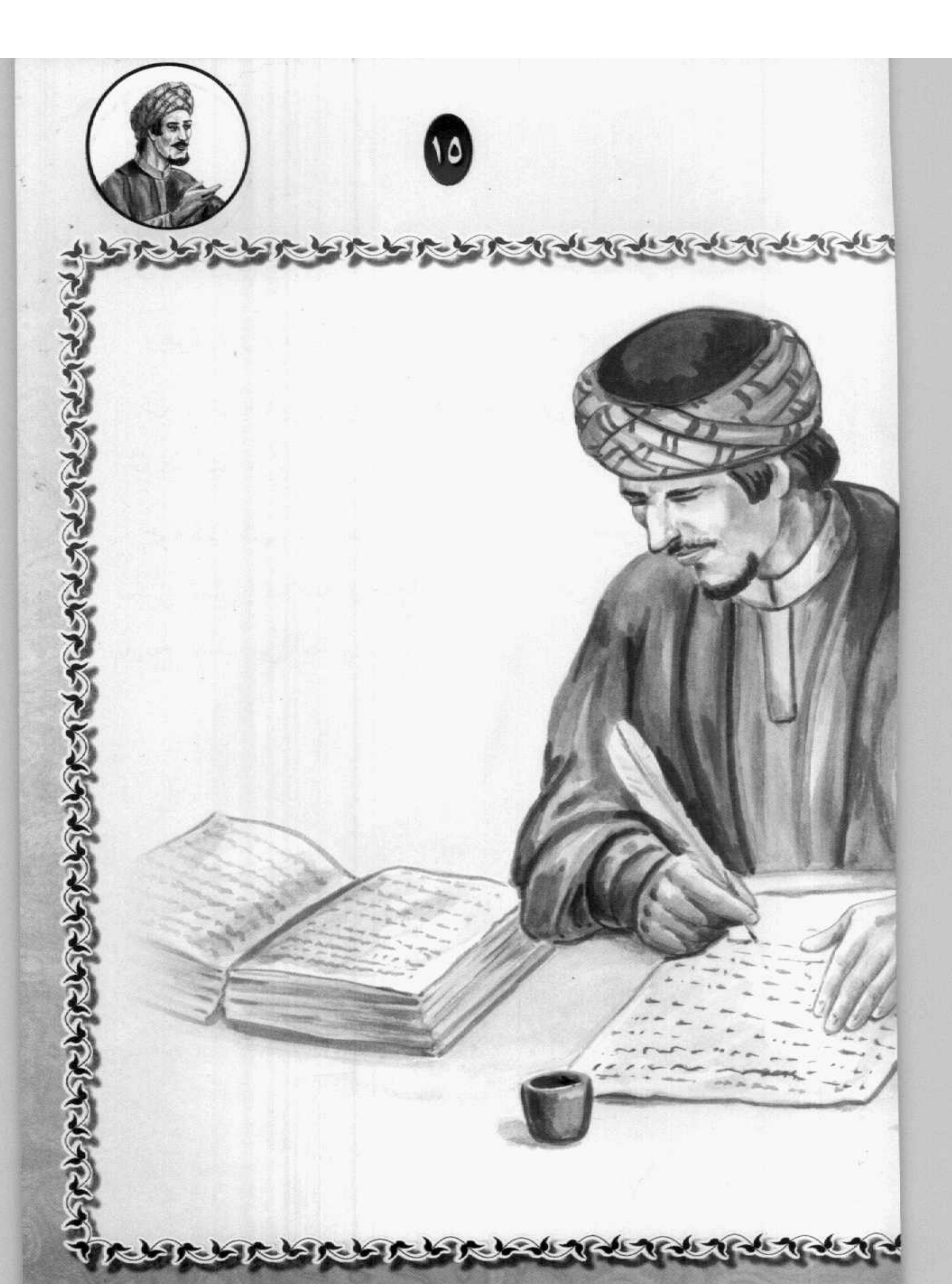
وقد ألّف أبو مروان عدَّةَ كتبٍ في الطب تُرْجِمَ مُعْظَمُها إلى اللُّغة اللاتينيَّة ، فكان له أَثَرُهُ في تَقَدُّمِ الطب في العالم،

وأهم كتبه كتاب « التيسير في المداواة والتدبير» .

يقول العالم (سيديو) في كتابه : «تاريخ العرب العام»:

إنّ العالم أجْمَعَ مَدِينٌ لأبي مروان بْنِ زُهْر النابغة ، بتقديمه أوّلَ وَصْفٍ لجراحةِ الجهازِ التَّنَفُسيِّ ، وشُرُوحِهِ الهامَّةِ في جراحةِ الكُسُورِ .







ويقول (رام لاندو) فى كتابه : « الإسلام والغرب » :

إن أبا مروانَ بْنَ زُهْر هو حُجَّةُ الطب فى أوروبا ، بل هو فى الحقيقة أكبرُ مُؤَثِّرٍ على أطباء أوروبا خلالَ العصور .

وهكذا شهد العلماءُ فى أرجاء العالم بعبقريَّةِ أبى مروانَ فَجَنَى ثِمَارَ إِخْلاصِهِ واجْتِهَادِهِ ، وصار من أكْبَرِ الأسماءِ فِى تاريخ الطبِّ فى العالم .